الفكر الإسلامي في الأدب الروائي عند يوسف السباعي

A Study of Islamic thoughts in the novels of Yousuf al-Sibai

Tahir Mehmood
PhD Research Scholar, Department of Arabic, NUML- Islamabad.
tahoori2003@yahoo.com

ABSTRACT

Yousuf al-Sibai, an Egyptian modern novelist born in 1917 in Cairo. He wrote sixteen novels during his career. He raised social and regional issues of Arabs in his literary contributions His novels had a great impact on Egyptian and Arab society as he was messenger of peace, love, and Arab unity. The romanticism was his basic school of thought which he promoted in his literary works, but he was impressed by Islamic thoughts as well as he narrated verses of holy Quran and quoted the sayings of Prophet (PBUH) and supported Islamic perspective of society and showed it through his characters.

Keywords: *Novel. Quran. Society issues. Sibai. Romanticism. support*

المقدمة

إن الفكر الإسلامي جزء من شخصية الأديب يوسف السباعي الذي نشأ وتربى في مجتمع عربي إسلامي وينتمي إلى سلالة الرسول صلى الله عليه وسلّم[1] وورث ميوله الأدبية عن والده محمد السباعي.

جرّب يوسف السباعي حظه في مجال النثر وقدّم أعماله في القصة القصيرة والرواية والمسرحية والمقال بالإضافة إلى أدب السيرة الذاتية وأدب الرحلة حيث ألّف واحدا وعشرين مجموعة قصصية وله ست عشرة رواية وكتب أربع مسرحيات لقارئيه وجمع مقالاته في ثماني مجموعات وخصص كتابه (من حياتي) للحديث عن حياته وشارك أسفاره مع قراءه في "طائر بين المحيطين". ويظهر هذا التأثر عند يوسف السباعي على

لسان شخصياته وتقديم أفكاره من خلال أعماله الأدبية واكتفى بالحديث عن رواياته حيث استشهد بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية في رواياته بالإضافة إلى بيان المظاهر الدينية من خلال أحداث رواياته.

ففى هذا البحث أتكلم عن المحاور الآتية:

أ. القرآن الكريم في روايات يوسف السباعي

ب. الأحاديث النبوية في رواياته

ج. المظاهر الدينية في رواياته

د. المآخذ على أفكاره الدينية

وخصصت مبحثا لآرائه الدينية في أطروحتي لنيل شهادة الدكتوراه[2] خلال الدراسة النقدية لإنتاجه الروائي الرومانسي وتكلمت فيه عن بعض آراءه الدينية التي ناقشها خلال أعماله الروائية. أمّا ثقافته الدينية فتحدث عنها الأديب يوسف الشاروني في (الروائيون الثلاثة) أن السباعي حفظ القرآن الكريم، ولكنه لم يتحدث عن مدرسيه و لم يتكلم عن الفترة التي حفظ فيها. والآن أنتقل إلى محاور البحث:-

أ. القرآن الكريم في روايات يوسف السباعي

اهتم يوسف السباعي بالقرآن الكريم وذكر الآيات حسب أحداث الرواية مما يدل على فهمه للقرآن الكريم وفي روايته (طريق العودة) يقدم السباعي الضابط المحارب (مراد) وهو على وشك المغادرة الى ساحة المعركة، يرى السباعي على لسان مراد أنه ذاهب إلى القتال لأجل الوطن ولأجل قضية فلسطين و لم يرسمه بالطبع رجلا يهتم بالدين وبالتقاليد، ولكنه ايضاً يحمل القرآن الكريم معه قبل القتال ضد اليهود كأن البطل أعلن أن القرآن الكريم هو الذي يحميه في المعركة "ومدّ يده ... إلى كوم من روايات الجيب على المنضدة وأزاحها جانبا..

وأخرج من أسفلها مصحفا صغيرا... متأكل الغلاف ... ورفعه إلى شفتيه.. ثم دسّه في جيبه"[3]

وفي روايته (ابتسامة على شفتيه) تخاطب (مى) بطلة القصة لزميليها قبل عملية فدائية في فلسطين المحتلة "دعونا نقرأ الفاتحة.. إنها دائما تفتح لي الطريق[4] ويخبر حمزة- أحد مقاتلي المقاومة – أصدقاءه عن لحظات وداع أمه قبل خروجه الأخير من البيت " قرأت لي الفاتحة.. ورقتني آخر مرّة"[5] يستيقظ (حمدى) قبيل الفجر في (نحن لا نزرع الشوك) فيتوضأ ويصلي ويتلو القرآن الكريم.

ووصف السباعي منظر الجامع والصلاة فيه يوم الجمعة في (ابتسامة على شفتيه) والمصلون ينصتون إلى تلاوة القرآن الكريم. وفي روايته (العمر لحظة) يصف لنا السباعي الضابط (نعمت) وهي تقرأ القرآن الكريم في الصفوف الأمامية خلال معارك حرب استنزاف في مصر ويصور لنا السباعي في رواية نفسها جلسة الأفطار في جزيرة نائية خلال شهر رمضان حيث يحضر المقدم محمود -بطل القصة- فيجد أن الحاضرين يستمعون إلى تلاوة القرآن الكريم تعلو من المذياع. "واختتم المقرئ قراءته. وارتفع صوت المذياع يقول نحن الآن في انتظار مدفع الإفطار.. ثمّ دوى المدفع".[6] ولا يقتصر بذلك، بل يدعو السباعى إلى الاهتمام بتدريس القرآن الكريم ولا يرضى بتحفيظ السور فقط في المدارس الابتدائية، بل ينتقد انتقادا شديدا في روايته (السقامات) لأن المعلم لم يكن يرغب في شرح ما يطلب حفظه من طلابه فعندما يسأله الطالب (علي) معنى قوله تعالى (عبس..).[7] فيرد عليه المعلم غاضبا "مش ضروري تعرف.. أنت عليك أن تحفض من سكات ومن غير غلبة.. فاهم والالا"[8] ويخبر الطفل (سيد) لشحاتة

أنه حفظ الأخير (عم) من القرآن في المدرسة دون الفهم فتظهر مشاعر السباعي في إجابة (شحاتة) له حين يؤكد السباعي أهمية القرآن الكريم على لسان شحاتة "يا خسارة القرآن بين الجهلة.. القرآن دا يا (سيد) كلام حلوا بس لازم يتفهم... ده معجزة".[9] وفي روايته "نحن لا نزرع الشوك" لا يرضى السباعي بالقراءة السريعة للقرآن في المقبرة وتوبخ عمة حمدى الفقهاء على ذلك الأسلوب وشبه قراءتهم سباق الركضة "وأخدوا يتبادلون القراءة.. كأنهم في سباق التتابع يتناول كل منهم آخر الجملة من صاحبه ليلحم بها أول جملته ثمّ يظل يقرض الكلام بسرعة كأنه فار يقرض لوحا من الخشب حتى يتناوله منه صاحبه فيلهف الكلمات كما يلهف المتسابق الراية من المتسابق الذي وصل إليه".[10] استشهد السباعي كذلك بالآيات القرآنية في روايته "السقامات"، استعان بآية من سورة البقرة (والصابرين في البأساء..) حيث ذكرها أربع مرّات كما أشار إليه كارنيك جورج في مقاله (السقامات) وعلق على هذا التردد أيضاً وهي الآية نفسها علقها شوشة على إحدى جدران البيت للصبر والتجلد على وفاة زوجته الشابة وطبق (سيد) لافتة هذه الآية ووضعها في جيب جاكتته قبل الخروج إلى جنازة والده الذي مات إثر انهيار البيت، أنهى الكاتب روايته بالآية المذكورة المعلقة على كشك خشبي يجلس فيه (سيد) "قد علق في داخل الكشك لافتة أحالت الشمس لونها، ولكن الكتابة ما زالت بها جلية واضحة يقرؤها كل وارد على الصنوبر ((والصابرين في البأساء..))[11] وشرح (شحاتة) الآيتين الأخريين من سورة البقرة بعد قراءتهما لِ(سيد) "وبدأ ((سيد)) القراءة، وكانت الآية مكتوبة بالخط الثلث المتشابكة حروفه، فلقي ((سيد)) صعوبة في

قراءتها وأخذ يردد في بطء: ولنبلو.. ولنبلو"[12] والآيتان هما (ولنبلونكم بشيء من الخوف ... الذين إذا أصابتهم.."[13]

وتحدث السباعي في هذه الرواية عن الحياة الفانية وسخر من تكبر الناس وهم أحياء وعن مشيتهم وهم يمشون مغرورين على ظهر الأرض وأشار إلى حياتهم بعد الموت ورسخ عقيدة التوحيد وشرحها بذكر آية الكرسي" حي واحد.. هو الباقي القوي.. هو ((الله لا إله إلا هو الحي القيوم..))[14] والآية المباركة من سورة البقرة. وهي الآية نفسها تلاها المقدم محمود بعد قراءة الفاتحة قبل الهجوم على موقع إسرائيلي في روايته (العمر لحظة) "وكان كلام الله يتردد على ألسنة معظم الأولاد، قرأ محمود آية الكرسي التي تعود أن يقرأها قبل كل امتحان".[15]

وفي روايته الاجتماعية (أرض النفاق) ينقل السباعي لقارئيه خطبة الجمعة وتأثيره على المصلين بعنوان "في صلاة الجمعة" فيذكر الآيات على لسان الخطيب من سورة البقرة، والكهف، والرعد، والنحل.[16] ومن خلال قراءة نص خطبة الخطيب يشعر القارئ بأن السباعي قد تعمق في ملاحظاته وحسن اختياره للآيات والأحاديث المباركة بمناسبة موضوع الصيام وهذا على سبيل المثال وهناك آيات أخرى وردت في رواياته واكتفي بهذا القدر من الأمثلة وأنتقل إلى المبحث الثاني.

ب. الأحاديث النبوية في رواياته:

جمع الباحث طاهر محمود عشرة أحاديث في فهرس الأحاديث[17] لأطروحته عن روايات يوسف السباعي، فمن خلال قراءة الفهرس يتضح أن السباعي استعان بالأحاديث النبوية لشرح مواقفه المختلفة ففي (ابتسامة على شفتيه) يحث الشيخ

عبد السلام ابنه عمار عن عمله وأن يتعلم أسرار التجارة ويفكر عمار في نفسه ويرى أن عليه استرضاء والده وهو على حق فيما يقول "وإيمانه بالحديث الشريف الذي لا يفتأ يردده.. (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) يتحتم عليه أن يتقن عملية التجارة"[18]، فالحديث ورد في إتقان العمل والمهارة فيه وروى الإمام البيهقي هذا الحديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولكن السباعي لم يكتب كلمة (تعالى) بعد (الله) حيث ورد في الحديث (إن الله تعالى...) وفي نفس الرواية كتب السباعي حديث الرسول صلى الله عليه وسلّم الذي نقله الإمام مسلم رحمه الله "الله أكبر كبيرا والحمد لله بكرة وأصيلا".[19]

وفي (نائب عزرائيل) يحث قارئيه على أعمال الخير ويرى أن خدمة المنكوبين ومساعدة الفقراء والمحتاجين من الأعمال التي يرضى بها رب العباد. وفي (أرض النفاق) كتب الحديث الشريف في فضل الصيام" وصدق الرسول الله صلى الله عليه وسلّم حيث قال: (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، فيقول الصيام إني منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه[20]، وفي نفس الخطبة ذكر حديث الرسول صلى الله عليه وسلّم عن أساس الأعمال وهي النية وورد هذا الحديث في أعماله الأدبية ليشهد به مواقفه المختلفة وقد تكون هذه المواقف مضادة ففى (أرض النفاق) ذكرها في خطبة الإمام الذي يدعو الناس إلى إصلاح أمورهم، ولكنه في (إني راحلة) يستعين به للنقاش بين (أحمد) و(عايدة) بطلا روايته حيث ترفض (عايدة) موقف الصداقة البريئة بين الشاب والشابة فيجيبها أحمد ثائرا على التقاليد والمجتمع "إنما الأعمال بالنيات وما دمت واثقا أن صداقتي بريئة.. فلا يهمني ما يقوله الناس".[21]

وفي (البحث عن الجسد) يدور الحديث بين عزرائيل ويوسف السباعي عن مسؤوليات الزعيم وواجباته، يجب أن يؤديها لشعبه حتى يحمله المواطنون على أكتافه ويرد على تحياتهم فيذكر السباعي هذا الحديث فيخبر عزرائيل أن النيات هي أساس الأعمال الجليلة التي يقوم بها السباعي كزعيم في المستقبل وحث الخطيب المصلين على التوبة بقول النبي صلى الله عليه وسلّم "وعنه صلى الله عليه وسلّم قال: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) ادعوا الله.. وسرت بين المصلين موجه همهمة ودمدمة.. ورفعوا أكفهم إلى الله يدعونه".[22]

وفي (البحث عن جسد) يدور الحوار بين السباعي وعزرائيل ويناقشان عودة السباعي فيقول "وهكذا زالت النعمة وزاد المكروه.. لا يلدغ المؤمن من جحر مرّتين ... أرجوك.. ابحث عن أبله غيري.. يقبل أن يبدأ حياته من جديد"[23] وورد هذا الحديث أكثر من مرّة في أعماله الأدبية ففي مجموعته القصصية (اثنا عشر رجلا) حكى السباعي قصة رجل عنوانه (رجل مهرج) حيث يقول "وأطرقت المرأة ورأيتها تكرّر قولي في شيء من شرود الذهن "- تضرب بحبها عرض الحائط وتنتظر حتى تتزوج رجلا محترما!! تماما كما فعلت.. لا.. لا يا سيدي.. لا يلدغ المؤمن من جحر مرّتين وصمتت برهة ثم بدأت تروي كيف لدغ ((المؤمن)) من الجحر أول مرّة"،[24] وورد هذا الحديث النبوي صلى الله عليه وسلّم في كتاب الأدب في صحيح البخاري ورواه أبو هريرة رضي الله عنه.

ففي روايته (نحن لا نزرع الشوك) الاجتماعية، يخدع (علام) زوجته (سيدة) بعد زواج الحب كما ادّعى (علام) ولكنه كان يطمع في جسدها أولا وفي

ذهبها ثانيا جمعته بعد التعب في العمل في بيت (حمدي)، فأخذ منها الذهب بعد الزواج وتزوج به عليها وطلقها عندما عرفت عن خداعه لها و لم يكن أمر (عباس) زوجها الثاني مختلفا من الزوج الأول حيث أخذ المال وأضاعه في القمار ففكرت (سيدة) في نفسها " ورفعت يديها تلطم خديها قائلة: – يا خراب بيتك يا سيدة.. ضحك عليك عباس.. سرقك عباس يا سيدة.. كما سرقك علام – والمؤمن لا يلدغ من جحر مرّتين.. ولكنك لست مؤمنة بدليل إنك لدغت من نفس جحر".[25]

ويشير السباعي أحيانا إلى الحديث النبوي من خلال الحوار، ولكنه لا يذكره بالنص كما يلاحظ في الرواية المذكورة عندما يمرض ابن (سيدة) وتأخذه إلى الطبيب جاره في العمارة فيرفض أن يأخذ النقود لمعالجته ويخبرها بأنه يزور (جابر) ابنها في البيت حتى يستريح ولا يخرج من البيت فيقول لها "يا ستي نحن جيران.. والنبي أوصى على سابع جار"،[26] والمعروف أن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تدل على إكرام الجيران والاهتمام بهم.

ركز السباعي على قضية الموت في رواياته والموت المفاجئ لوالده أثر على شخصيته، قد يكون الموت وليد اليأس عند السباعي، ولكنه يرغب أن يذكر الموتى بمحاسنهم ويتحدث على لسان (عايدة) الفرق بين الحياة والموت حيث تقول في (إني راحلة) "ما أسهل الرحيل.. خطوة واحدة أخطوها فأمرق هذا الخيط الواهي الذي علقت به حياتنا.. وأنطلق هاربة إلى حيث لا تتطاولون على بألسنتكم تاركة لكم جيفة تتلقى لعناتكم نيابة عني ((اذكروا محاسن موتاكم..))".[27]

فورد الحديث المذكور (اذكروا..) في كتب الحديث وأكتفي بهذا القدر من ذكر الأحاديث الواردة في روايات يوسف السباعي وأنتقل إلى المبحث الثالث.

ج. **المظاهر الدينية في رواياته:**

اهتم يوسف السباعي بالمظاهر الدينية في أعماله الأدبية مثل الصلاة والأذان وذكر الجوامع والدعوة إلى الخير والنظافة والتوكل على الله ومساعدة الفقراء إلى آخره من المظاهر الدينية. لم ينس السباعي الدعوة إلى الجهاد والمقاومة ضد العدو الإسرائيلي فأهدى روايته (ابتسامة على شفتيه) للشهيد بقوله "إلى الشهيد الذي بذل روحه من أجل بعث الروح الفلسطينية والذي جعل من جسده الطاهر معبرا للعودة"[28] ووصف اهتمام الشيخ عبد السلام للصلاة وسوق القدس والمقاومة في الرواية المذكورة بقوله "وفي اليوم التالي قبل صلاة الجمعة.. والسوق مزدحم بالناس وصوت القرآن يعلو من المساجد.. كان الشيخ عبد السلام على وشك أن يغلق المحل من أجل الصلاة، وبدا يجيى مقبلا على الدكان وقد ارتدى ملابس التدريب الكاكية".[29] وهو يخبر قارئيه عن شخصية الشيخ عبد السلام من جهة وإغلاق محله للصلاة وفي الوقت نفسه يشير إلى التدريب العسكري للشباب الفلسطينيين ومن خلال الحوار بينهما يلاحظ الحديث عن نوع التدريب الذي كان يحصل عليه يجيى ويذكر اهتمام الفلسطينيين بصلاة الجمعة بقوله "والناس قد اكتظوا خارجه.. ما بين راكع وساجد.. وجالس في خشوع ينصت إلى تلاوة القرآن.. وأذن للصلاة فاستقام الناس في الصفوف وعلا صوت الإمام (الله أكبر) وجلس عمار ينصت إلى خطبة الجمعة".[30] وعندما زاره ضابط إسرائيلي فلم يرد أن يتحدث معه و لم

يرغب في أن يبيع له القماش فأغلق المحل ليذهب إلى الجامع "وزفر الشيخ عبد السلام في ضيق وقال محاولا إنهاء الحديث وهو ينهض متثاقلا: ليس لدي وقت للبيع.. سأغلق الحانوت وأذهب للصلاة... وجذب عبد السلام باب الحانوت فأغلقه ثم أعطاهم ظهره وسار تجاه المسجد دون أن يرد بكلمة".[31]

وتصلي (عايدة) وتنتظر المعجزة حتى لا تتم خطبته مع ابن لزكى باشا ولا تفقد حبها لأحمد –ابن خالتها– "ورفعت عيني المبللتين بالدمع إلى السماء وسألتها الرحمة! وخطر لي خاطر أحست من بشيء من التشجيع والعزاء ونهضت إلى ((الحمام)) فتوضأت ثم أغلقت حجرتي وبدأت الصلاة وأخذت أركع وأسجد وذهني شارد، ونفسي واهنة ودعوت الله أن يهب لي معجزة تنقذني مما أنا فيه"،[32] ويصف السباعي مدينة مصرية التي دمّرها قصف إسرائيلي، ولكنه ما نسى ذكر المآذن المحطمة للجوامع "وكان في استقبالهم بعض ضباط القيادة وبعض الأطباء.. وبدت الدور من حولهم أطلالا مهدمة.. جدر منهارة وأسقف مقوضة ومآذن مساجد محطمة وأبراج كنائس مدمرة"،[33] وعندما وصف مدينة بور سعيد على لسان (نعمت) فلم ينس ذكر جندي يصلي على الحصر ويذكر السباعي نشاطات الجنود المصريين في المواقف الأمامية فيصور لقارئيه حين يؤذن المؤذن للصلاة ويصلي الجنود وراء الإمام وتنحني أجسادهم ويسجدون بخشوع. وصلاة الجندي في ميدان الحرب تختلف من صلاة الفتاة، تصلي لأجل حبيبها وصوت المؤذن يختلف من صوت الجندي ينتظر أوامر الهجوم أو الدفاع "لم يكن الأداء به نغمة المؤذن المحترف.. ولكنه كان قوياً عالياً"[34] ولكن السباعي صور أسباب الصلاة والاهتمام بها عند الطبقات المختلفة ويصلي الناس بعد الإفطار في

جزيرة نائية في شهر رمضان وكانوا يستمعون إلى المقرئ، يعلو صوته من المذياع قبل الإفطار والصلاة هنا فريضة يؤديها الناس وتختلف من صلاة الأب يشكر ربّه على عودة ابنه. ألقى القبض عليه من قبل السلطات الإسرائيلية المحتلة، "ورقّد عمار.. وذهبت مى لتساعد خالتها في المطبخ.. وكان البيت يبدو وكأنه في فجر يوم عيد، الأب مستغرق في الصلاة بوجه مشرق."[35]

وماتت (منى) في روايته (نادية) في إحدى القرى الفرنسية وصور السباعي معاناة أختها (نادية) وقدّم مشكلة الصلاة على الميت في بلد مسيحي في قرية جبلية نائية، لا يوجد فيه المسلمون وهي في حالة الحزن، لا تعرف كيف تدبر الأمور وليس هناك شخص آخر يعرف عن شعائر الإسلام وعن دفن الميت والصلاة عليه" اذكري الله يا نادية إلهنا جميعا.. اطلبي الرحمة لأختك.. أليست لكم صلوات.. إن لديكم القرآن لماذا لا تقرئين بعضه.. ألا تظنين أختك في حاجة إليه الآن."[36]

ويلاحظ أن مدام كلود هي التي تشجعها لقراءة القرآن وتحثها على الاستمرار عندما تتوقف بعد قراءة الفاتحة ويذكر السباعي أن قراءة القرآن سبب السكينة في تلك الفترة المعذبة" لا تكفي قولي كل ما تعرفينه من صلواتكم وقرآنكم وعادت (نادية) تتلو كل ما تحفظه من آيات القرآن.. أخذت ترددها في أول الأمر بلا وعي.. والسكينة تدب في صدرها شيئا فشيئا"،[37] وتدفن ((منى)) بلا جنازة ونادية تقف حائرة ماذا تفعل وهي لا تعرف جهة القبلة ولا تعرف عن كيفية أداء الصلاة على الميت وتخبر السيدة كلود "إن الصلاة لا تنفع بلا وضوء"[38] وتقارن (نادية)بين موت أبيها في القاهرة عندما ذبح الكبش قبل

خروج نعشه من البيت وحمل على الأكتاف وشارك فيه كثير من الناس وبين موت أختها في ذلك المكان" بلا كباش تذبح ولا صلاة تقام ولا فقهاء يقرءون."[39] يتحدث السباعي في رواياته عن الموت وفي ((السقامات)) تموت (آمنة) زوجة (شوشة) خلال ولادة ابنهما بعد فترة سعادة قصيرة ويموت (شحاتة) عندما يشعر بالسعادة ويموت (شوشة) أيضا ويبقى (سيد) بلا أم وأب وفي (نحن لا نزرع الشوك) يموت (الجابر) والد (سيدة) وتعيش (سيدة) الطفلة بلا أم وأب حيث ماتت أمها قبل وفاة والدها وتركتها الزوجة الثانية للأب فانتقلت إلى بيت صديق أبيها: ظلمتها زوجة صديق أبيها واستغل فقرها ابن صديق الوالد مما أجبرها على ترك البيت والموت لازمها بعد زواجها أيضاً حيث مات (جابر) طفلها سمته باسم أبيها، فدفنت ابنها الوحيد في مقبرة الصدقة وأزالت إدارة التنظيم تلك المقبرة خلال التوسيع وطلبت من (حمدى) قبل موتها أن تدفن في مقبرة أسرة حمدى لأنها عاشت أحلى أيامها في بيت (حمدى) وأسرته. وفي روايته (بين الأطلال اذكريني) تترك (أم سامية) زوجها وطفلها لأجل حبيبها المريض، ولكنه يموت وتخدم الحبيبة ممرضة لزوجته وتموت هي الأخرى خلال ولادة (سامية) وتربى ابنة الحبيب الراحل يطلب من والده وتهتم بوالده ويموت الوالد أيضاً فتستمر في رعاية (سامية) الطفلة الصغيرة وتسمى (أم سامية) وهي ليست والدتها وصاحبة البيت والبيت ليس لها وكانت (أم سامية) قد فقدت والديها في طفولتها وأهدى السباعي روايته (نائب عزرائيل) إلى ملك الموت عزرائيل وفي نهاية الإهداء يخاطبه بقوله "وإنني يا سيدي في انتظار

اللقاء... إما على صفحات كتاب آخر أو في السماء .. ما لي من خشية ولا رهبة فالحياة عندي والموت سواء!.."[40]

وهناك مظاهر أخرى تحدث عنها يوسف السباعي في رواياته، ولكنني ذكرتها باختصار والحديث عن هذا الموضوع يحتاج إلى بحث آخر يتعمق فيه الباحث عن المظاهر الدينية في أدب يوسف السباعي.

د. المآخذ على أفكاره الدينية:

ركّز يوسف السباعي على مشاكل الشباب وعرض قضاياهم وعبر عن معاناتهم الشخصية ومن خلال كتابته قدّم رؤيتهم نحو المجتمع فانقسم المجتمع إلى مؤيديه ومعارضيه فحسبته فئة بأنه فارس الرومانسية وأديب عربي اهتم بالأمة العربية وافتخر بمصريته ولكن هناك من الأدباء خالفوا آراءه واعتقدوا بأنه مفسد أفكار الشباب و لم يلعب دورا إيجابيا في تربية الأجيال ومنهم الأديب أنور الجندي حيث يقول "طالب يوسف السباعي وأنيس المنصور بالعودة إلى الدعارة العلنية بدعوى أن ذلك يقضى على القلق الذي يساور الشباب في المجتمعات ولو كانوا صادقين مخلصين في النصح لطالبوا بأسلوب من التربية الدينية والخلقية فهذا وحده هو الأسلوب الذي يؤدي إلى إنقاذ هذه الأجيال أما هذه الدعوة المسمومة فإنها لا تحقق إلا مزيدا من الفساد".[41]

ولا يرضى الدكتور سيد بن حسين العفاني بآراء يوسف السباعي وأفكاره المقدمة في أعماله الأدبية ويعارض موقفه نحو اللغة والمرأة والدين والقيم وخصص بعض صفحات كتابه للحديث عنه "إنّ يوسف السباعي ذهب إلى أبعد من هذا حين جعل (السخرية) طابع كتاباته فهو يسخر من كل شيء حتى

من القيم المقدسة وآية ذلك رواية (نائب عزرائيل)"[42] ويتهمه بأنه لا يعرف عن الدين والموت الملك عزرائيل الى آخره من الأمور والمعروف أن السباعي كتب روايته (نائب عزرائيل) و(البحث عن الجسد) وهو يتحدث فيهما عن الملك عزرائيل وقضية الموت ويتحدث مع عزرائيل ويناقشه.

واتهم الدكتور عبد القدوس، رئيس التحرير بمجلة الأدب الإسلامي الأديبين المصريين يوسف السباعي وإحسان عبد القدوس بإثارة الشباب و"تصور معظم رواياتهما المجتمع المذهلى أو مجتمع الصالونات المختلطة وتعتمد على إثارة الغرائز الجنسية أو مداعبتها لدى المراهقين."[43]

وهناك جوانب أخرى لم يتحدث هؤلاء الكتاب عنها ومنها صلاة (نادية) لأختها (مى) بعد أن وضع صندوقها في القبر وهي تصلي بلا وضوء ولا تعرف جهة القبلة حيث تحثّها السيدة كلود أن تصلي لأختها والغريب أنها تصلي ركعتين "وكما تعودت (نادية) أن تصلي صلبت جسدها.. ورفعت سبابتيها إلى أذنيها.. ثم هبطت بكفيها مطبقتين أسفل صدرها وبدأت شفتاها تتمتم بالفاتحة وقل هو الله أحد.. ثم ركعت وسجدت.. وركعت وسجدت والجميع يرقبونها في خشوع شديد وقد انحدرت الدموع في مآقيهم"[44] وبذلك تحدث السباعي عن الظروف الاستثنائية التي ماتت فيها (منى) ولكن صلاة (نادية) بهذا الشكل أمر لا يمكن قبوله وكذلك تقبيل (مراد) للقرآن في (طريق العودة) أمر غريب حيث قبل القرآن الكريم بعد شرب الخمر قبل خروجه إلى ساحة المعركة "وفتح الزجاجة وأخذ منها جرعة ومصمص شفتيه قائلا لنفسه – قليل من الخمر يصلح المعدة.. ومسح شفتيه وأردف قائلا – ويريح الأعصاب أيضاً".[45]

وفي نهاية البحث أرى أن يوسف السباعي استخدم الآيات الكريمة والأحاديث النبوية لشرح موقفه عبر شخصياته الروائية وقدم المظاهر الدينية في رواياته ومنها الصلاة والصوم والإفطار والجامع وصلاة الجمعة والأذان وتلاوة القرآن والصلاة على الميت والشهادة في سبيل الله الى آخره من الأمور وأشرت في المآخذ على كتاباته إلى المواقف التي لم يرض به الأدباء الإسلاميون ولا يرضى به أي مسلم ولكن السباعي كذلك يصر تدريس القرآن الكريم على أسس علمية ولا يرضى بتحفيظ القرآن الكريم بدون فهمه وتفهيمه للطلاب كما يلاحظ ذلك في روايته (السقامات) وهو قدّم صورتي المجتمع الإيجابية والسلبية من خلال رواياته التاريخية والاجتماعية.

الهوامش:

1- عصام عبد الفتاح، الاغتيالات السياسية في التاريخ، الإسكندرية، (ط/1، 2012)، ص: 235

- Eisam eabd alfataah, alaightialat alsiyasia fi altaarikh, al'iiskandiria, (ta/1, 2012), s: 235

[2] – طاهر محمود، الرومانسية في الأدب الروائي عند يوسف السباعي (أطروحة الدكتوراه، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، 2021)، ص: 380

- Tahir Mehmud, alruwmansia fi al'adab alriwayiyi eind yusuf alsibaeii ('utaruhat aldukturahi, aljamieat alwataniat lilughat alhadithati, 2021), si: 380

[3] – يوسف السباعي، طريق العودة، (مكتبة مصر للطباعة، رقم الإيداع 7749/86)، ص: 118

- yusuf alsabaeii, tariq aleawdati, (maktabat misr liltibaeati, raqm al'iidae 86/7749), si: 118

[4] – يوسف السباعي، ابتسامة على شفتيه، (مكتبة مصر جودة السعار وشركاءه، القاهرة)، ص:199

- yusuf alsabaeii, abtisama ealaa shafatayhi, (maktabat misr judat alsiear washuraka'uhu, alqahira), sa:199

[5] – المصدر نفسه، ض: 251

- almasdar nafsuhu, da: 251

[6] – يوسف السباعي، العمر لحظة، (مكتبة مصر، شارع كامل صدقى، القاهرة)، ص: 238

- yusif alsabaeiu, aleumur lihata, (maktabat masr, sharie kamil sidqaa, alqahirati), si: 238

[7] – القرآن، سورة عبس، الآية: 1

- alquran, surat eabs, alayat: 1

[8] – يوسف السباعي، السقامات، (مكتبة مصر، شارع كامل صدقى، القاهرة)، ص: 132

- yusuf alsabaeii, alsaqaamat, (maktaba misr, sharie kamil sidqi, alqahira), si: 132

[9] – المصدر نفسه، ص: 198

- almasdar nafsuhu, si: 198

[10] – يوسف السباعي، نحن لا نزرع الشوك، (مكتبة مصر، شارع كامل صدقى، القاهرة)، ص: 352/1

- yusuf alsabaeii, nahn la nazra alshuwk, (maktabat masr, sharie kamil sidqaa, alqahirati), si: 1/352

[11] – السقامات، ص: 332

- alsaqamata, si: 332

[12] – المصدر نفسه، ص: 198

- almasdar nafsuhu, si: 198

[13] – البقرة، الآية: 155-156

- albaqarat, alayat: 155-156

[14] – السقامات، ص:330

- alsaqamata, sa:330

[15] – العمر لحظة، ص: 153

- aleumr lahza, si: 153

[16] – يوسف السباعي، أرض النفاق، (مكتبة مصر جودة السحار وشركاءه، القاهرة)، ص: 217-219

- yusuf alsabaei 'ard alnifaq, (maktabat misr judat alsahar washuraka'uhu, alqahirat), si: 217-219

[17] – طاهر محمود، الرومانسية في الأدب الروائي عند يوسف السباعي (دراسة تحليلية نقدية)، ص: 406

- Tahir Mehmood, alruwmansiat fi al'adab alriwayiyi eind yusuf alsibaeii (dirasat tahliliat naqdia]), si: 406

[18] – ابتسامة على شفتيه، ص: 37

- abtisamat ealaa shafatayhi, s: 37

[19] – المصدر نفسه، ص: 65

- almasdar nafsuhu, sa: 65

[20] – أرض نفاق، ص: 219

- 'ard nifaq, sa: 219

[21] – يوسف السباعي، إني راحلة، (مكتبة الخانجي، القاهرة)، ص: 46

- yusuf alsabaeii, 'iiniy rahilatun, (maktabat alkhanji, alqahirati), s: 46

[22] – المصدر السابق، ص: 219

- almasdar alsaabiqu, si: 219

[23] – يوسف السباعي، نائب عزرائيل، – البحث عن الجسد، (مكتبة مصر جودة السحار وشركاءه، القاهرة)، ص: 145

- yusif alsabaei, nayib eizrayiyl, - albahth ean aljasadi, (maktabat misr judat alsahar washuraka'uhu, alqahiratu), si: 145

[24] – اثنا عشر رجلا، ص: 92-93

- aithna eashar rajulan, si: 92-93

[25] – نحن لا نزرع الشوك، ص: 644/2

- nahn la nazrae alshuwk, si: 2/644

[26] – المصدر نفسه، ص: 665

- almasdar nafsuhu, si: 665

[27] – إني راحلة، ص: 19

- 'iiniy rahilatun, si: 19

[28]– ابتسامة على شفتيه، ص: 5

- abtisamat ealaa shafatayhi, si: 5

[29] – المصدر نفسه، ص: 63

- almasdar nafsuhu, sa: 63

[30] – المصدر نفسه، ص: 65

- almasdar nafsuhu, sa: 65

[31] – المصدر نفسه، ص: 138

- almasdar nafsuhu, si: 138

[32] – إني راحلة، ص: 228

- 'iiniy rahilatun, si: 228

[33] – العمر لحظة، ص: 46

- aleumr lahzatun, s: 46

[34]– المصدر نفسه، ص: 47

- almasdar nafsuhu, sa: 47

[35] – ابتسامة على شفتيه، ص: 237

- abtisamat ealaa shafatayhi, si: 237

[36] – نادية، 534/2

- nadia, 2/534

[37] – المصدر نفسه، 2/ 534-535

- almasdar nafsahu, 2/ 534-535

[38] – المصدر نفسه، 535

– almasdar nafsuhu, 535

[39] – المصدر نفسه، 522

- almasdar nafsuhu, 522

[40] – نائب عزرائيل–البحث عن الجسد، ص: 5

- nayib euzrayiyl-albahth ean aljasada, si: 5

[41] – أنور الجندي، الصحافة والأقلام المسمومة، (دار الاعتصام للطبع والنشر، القاهرة، ط/1، 1980،) ص: 85

- 'anwar aljundi, alsahafat wal'aqlam almasmumatu, (dar aliaetisam liltabe walnashri, alqahirati, ta/1, 1980,) s: 85

[42] – د. سيد بن حسين العفاني، الأعلام والأقزا في ميزان الإسلام، (دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة)، ص: 559/1

- du. sayid bin husayn aleafani, al'aelam wal'aqzam fi mizan al'iislami, (dar majid easirii lilnathr waltawziei, jida), si: 1/559

[43] – سامية البريدي، رواية العصر الحديث تشير الغرائز وتشجع على الاخلال (مقال) الأربعاء 2012/05/16،

www.alwatan.com.sa

- samiat albiridii, riwayat aleasr alhadith tushir algharayiz watushajie ealaa alianhilal (maqali) al'arbiea' 16/05/2012, www.alwatan.com.sa

[44] – نادية، ص: 535/2

- nadia, si: 2/535

[45] – طريق العودة، ص: 117

- tariq aleawda, si: 117